Semiotics of desire in the arab perspective a reading of the discourse of semiotic analysis and the narrative of na'ima sa'dia

Received: 06/04/2025; **Accepted:** 18/09/2025

بن سميشة محمد*

أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت (الجزائر)

سيميائية الأهواء في المنظور العربي: قراءة في مدونة "التحليل السيميائي والخطاب" لنعيمة سعدية

الكلمات المفتاحية:
سيميائية أهواء؛
ذات أنثوية؛
خطاب قصصي؛
نقد عربي

ملخص

يسعى هذا البحث إلى رصد واقع سيميائية الأهواء في الدراسات العربية، وذلك بعد ما تكفل بعض الباحثين بنقل هذه النظرية إلى ثقافتنا العربية وترسيخها في المشهد النقدي. ضمن هذا السياق سوف نختار لهذا النمط نموذجا تأصيليا للمعطى السيميائي الهووي في السرد القصصي يتمثل في كتاب"التحليل السيميائي والخطاب" لنعيمة سعدية، والذي سلطت فيه الناقدة الضوء على هذا المكون من جميع النواحي، حيث حاولت طرح مفاهيمه وأبعاده، والوقوف على مساراته في الخطاب الأنثوي القصصي، وذلك كله من أجل الإفادة منه لبناء رؤية نقدية تُعنى بالجانب الهووي في الخطاب السردي العربي.

Keywords:
Semiotics of Desire;
feminine Self;
Narrative Discourse;
Arab Criticism

Abstract

This research seeks to survey the state of the semiotics of desire in Arab studies following the efforts of some researchers to introduce this theory into our Arab culture and establish it in the critical scene. In this context, this study will choose a model for an original of the semiotic data of desire in the short story, represented in the Narrative by Na'ima Sa'dia, in which the critic shed light on this component from all aspects, as she tried to present its concepts and dimensions, and to stand on its paths in the narrative discourse, all this in order to benefit from it to build a critical vision that cares about the desire aspect in the Arab narrative discourse.

* Corresponding author, e-mail: mohamed.bensemicha@cuniv-tissemsilt.dz

Doi:

© Constantine 1 University, Algeria, 2025.

1- مقدمة

يُعتبر مصطلح سيميائية الأهواء من أكثر المصطلحات التي شغلت النقاد، فقد أثار جدلا واسعا وذلك لتباين الآراء بين الباحثين حوله خاصة في ماهيته ومفهومه، فهو مصطلح مكون من لفظتين أساسيتين سيمياء (sémiotique) والتي تعنى "بالسيرورات التي تقود إلى المعنى وتكشف عنه من خلال ما يخفي وليس فقط عبر ما يكشف ويوضح" (سعدية، 2016: 143)، والهوى (des passions) الذي يعد سلسلة من الحالات الانفعالية التي تترتب "عن انشطار الذات لحظة اصطدامها بالعالم" (الجرداس و فونتنيي، 2010: 12).

إنّ هذا التزاوج المصطلحاتي لهذا المصطلح يرمي إلى علم معاصر يرتبط بالأهواء وبالحالة النفسية والجانب الشعوري، ويهتم بدراسة المفاهيم التحليلية للذات وانفعالاتها الجسدية، ويكشف عن الآثار المعنوية للهوى داخل خطاطة الخطاب السردي لإدراك الموضوع، وذلك من خلال أفعال الذات الإنسانية وحركاتها وتصرفاتها التي تحول إلى هوى، فالهوى "موجود ومتضمن في النص السردي، ولا يجلي هذا الوجود إلا الذات التي تقوم بإظهاره إلى العالم" (حامد، 2022: 84).

لقد توالت الأبحاث الغربية في هذا المجال المعرفي، كما أن هذا الأخير لاقى أيضا إقبالا عربيا من طرف الباحثين العرب الذين استوعبوا مفاهيمه وأبدعوا في التأليف فيه ومن بينهم الناقدة نعيمة سعدية، فقد شكل كتابها "التحليل السيميائي والخطاب" محاولة جادة تستنطق الافضاءات البوحية وتستجلي التمظهرات الهووية، وذلك من خلال مقاربتها لمجموعة من الإبداعات القصصية الأنثوية والمتمثلة في "شهرزاد تبوح بشجونها"، حيث استطاعت الناقدة من خلال شخصية شهرزاد أن ترصد التشكلات الهووية في الحقل القصصي الأنثوي، وتعرض جوانب مهمة من تطلعاتها التي تمثل هواجس كتابتها. من هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي: ما هي المفاهيم السيميائية والآليات الإجرائية التي اعتمدتها الناقدة نعيمة سعدية لمقاربة هذه المجموعة القصصية؟

لقد حاولنا في هذا البحث إنشاء خطاب نقدي فاعل ومساهم في بناء تصور عن سيميائية الأهواء في الدراسات الأدبية العربية وهذا لا يعني أنه ليس هناك دراسات عربية سابقة تقمصت الحديث عن مفاهيم سيميائية الأهواء فهناك دراسات مشابهة لهذا الموضوع، لعل أبرزها سيميائية الأهواء من منظور النقاد العرب محمد الداهي أنموذجا لحياة بوسعدة ونصر الدين بن غنيسة، وهي في الحقيقة دراسة وإن كانت قد حققت قفزة نوعية من خلال ما تملكه من وجاهة طرح، إلا أنها تبقى دراسة محتشمة لا تنال الاحتفاء ذاته الذي حظيت به البحوث الغربية في استيعاب المفاهيم.

أما عن هدفنا من هذا البحث فهو تقديم تصورا نسعى من خلاله إلى الوقوف على أهم الأدوات الإجرائية التي وظفتها الناقدة أثناء دراستها للمشاعر والانفعالات المتعلقة بالمرأة، وقد اعتمدنا في ذلك على المنهج السيميائي وكذلك المنهج التحليلي، لأن هذه الدراسة تحتاج إلى تحليل استقصائي من أجل الوقوف على المعايير النقدية التي اعتمدتها الناقدة في تحليل الخطاب القصصي الأنثوي، كما خلصنا إلى عديد من النتائج والمقترحات الخادمة لموضوع بحثنا الأكاديمي. ولكن قبل الحديث عن هذا كله لابد من الوقوف على أهم الدراسات التي ساهمت في بلورة هذا المشروع السيميائي الذي أخذ على عاتقه دراسة هوى الذات داخل الخطابات السردية.

2- سيميائية الأهواء في الدراسات الغربية:

على الرغم من ظهور بعض الإرهاصات الأولية التي ساهمت في بلورة فكرة سيميائيات الأهواء كالدراسات المتعلقة بسيميائية الأفعال والتي ظهرت مع غريماس (Greimas) وجوزيف كورتيس (j.courtés)، إلا أن هذا المصطلح لم يظهر إلا بعد عقود متأخرة، وبالتحديد سنة 1991م مع غريماس وجاك فونتيني (J.fantanille) في كتابهما المشترك "سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس" 1991م، حيث تناولا فيه الناقدان فرع سيميائي جديد يهتم بخلجات النفس الإنسانية ويولي عناية بالجانب الشعوري بالعواطف والرؤى الوجدانية والرغبات والأحاسيس التي تطغى على القلب وتهمش العقل، كما ركزا فيه على دراسة بعض المفاهيم التحليلية والانفعالية للذات "كالجسد، والانفعال، والكمية، والامتداد والكثافة والتوتر، والإحساس، والطاقة الشعورية، وثنائية الصالح والطالح، والانفصال والاتصال، والعالم الخارجي والداخلي" (حمداوي، 2011: 33)، وهي في الحقيقة كلها أبحاث حديثة تجعل من الهوى موضوعا لها، وذلك على اعتبار أنه لا وجود لكتابة دونما أهواء، فالهوى موجود ولا "يمكن الاستغناء عنه أو التخلص منه، كما يمكن أن نتوهم ... إنه جزء من كينونة الإنسان وجزء من أحكامه وميولاته وتصنيفاته" (الجرداس و فونتنيي، 2010: 09).

بعد هذه الدراسة توسع أفق البحث في سيميائية الهوى، فقد حاول الكثير من الدارسين والباحثين التعرف على هذا المصطلح في الكيان الإبداعي، كما حاولوا أيضا الكشف عن حقيقته وتحديد أشكاله والبحث في آليات عمله، ومن بين هؤلاء هرمان باريت (porte Herman)، فمن خلال كتابه "الأهواء محاولة في تخطيب الذاتية" رفض إقصاء الذات وإهمالها، كما سعى إلى تطوير سيميائية الأهواء وتقديم تصورا جديد يهتم بآثار التلفظ والعلامات العاطفية وما يصدر عنها من شحنات انفعالية ويستلزم "تحديد العلاقة بين الذات المستهوية والموضوع المنشود، وبيان خصوصيتها" (حامد، 2022: 79)، وهو ما أفض إلى دراسة الهوى من منظور تلفظي تداولي وإعادة تشييد سيميائية الأهواء وفق اتجاهات متعددة تنفصل عن حقل علم النفس، تتعلق أولها "بموورفولوجية الأهواء، وثانيها بتركيبها، وثالثها بتخطيبها" (الداهي، 2006: 15). كما ميز فيه الناقد أيضا بين "الأهواء النمطية والأهواء المشتقة معتمدا في ذلك على الوصف البنيوي والسيميائي" (حمداوي، 2011: 33)، وذلك كله في سبيل الكشف عن جميع الدلالات المستترة التي تتوفر عليها الذات المستهوية وإبراز دورها المحوري في العملية الإبداعية.

كما توالت أيضا الدراسات في هذا المجال مع فرانسوا راستيه (rastier François) وسيسيليا فرانسيس (Cécilia Francis)، وكذلك الباحثة الفرنسية آن آينو (henaut Anne) وغيرهم، وهي كلها دراسات تهتم بانفعال الذوات وبتشخيص الأفعال كرد فعل على هوى معين، كما أنها تعتني بالآثار المعنوية التي تتحقق في الخطاب، فما هو أساسي في دراسة الهوى بالنسبة إليهم ليس التعرف على العلامات والرموز الدالة على الأهواء فحسب، وإنما الهدف من ذلك هو البحث في كل ما يتعلق بالحالات النفسية للإنسان والتدليل على ملائمة البعد الانفعالي "واستقلاليته داخل المسار التوليدي للدلالة، وإعادة بناء الأهواء سيميائيا، ومقاربتها من زاوية تلفظية تعيد النظر في التصور السيميائي للخطاب والتخطيب، وتُسائل من جديد تنشيط مفهوم الذاتية ليستوعب العينات الاستهوائية أو علامات الإحساس بوصفها آثارا خطابية" (عبد الرحمن، 2019: 31-32).

لقد ظهرت سيمياء الهوى كعلم معاصر يدرس المشاعر والأهواء الشخصية التي تنتاب الإنسان ذاتيا بعيدا عن المقاربات الأخلاقية والفلسفية والنفسية، فهي تبحث عن الآثار المعنوية للهوى الانفعالي وتسعى إلى فهم السلوك الهووي وتشكلاته الممتدة داخل المقاطع النصية "من أجل تحصيل المعنى والفحوى عبر قراءة المكونات التركيبية والدلالية" (حمداوي، 2011: 33)، وهو ما يعني أنها تحاول ضبط المحسوس واستقراء دلالة الشكل، فتدرس العواطف والمشاعر، وتهتم بالانفعالات الإنسانية المختلفة، وتكشف عن شحناتها التي تشكل نواة المعنى العاطفي، والحاصلة نتيجة فعل "ممكن، دون الاكتراث لتصنيفاته الاجتماعية السلبية منها والايجابية" (الجرداس و فونتنيي، 2010: 28)، كما أنها تسلط الضوء أيضا على أهمية الذات في إدراك العالم الموضوعي وتحديد مقصدية الشعور في عملية تفسير العلامات والرموز من خلال فهم العلاقة التواصلية التي تربط بينهما، فتدرس "مجمل الانزياحات الموجودة بين العاطفي والتوتري، من خلال رصد علاقة الذات المستهواة بالعامل الموضوع انجذابا واتصالا ومقصدية، ويتم هذا التفاعل الاستهوائي الإدراكي عن طريق فضاء الحس والجسد" (حمداوي، 2011: 31)، فالذات لا تنجر عنها أفعال فقط، وإنما ينجر عنها توترات وشحنات انفعالية تحدد درجة التأثير التي يتحقق من خلالها هذا الفعل داخل الخطاب.

3- سيميائية الأهواء في الدراسات العربية: قراءة في مدونة "التحليل السيميائي والخطاب" لنعيمة سعدية:

3-1 سيميائية الأهواء وإشكالية المصطلح:

توالت الدراسات العربية حول سيمياء الأهواء نقلا وترجمة عن الدراسات الغربية، ولعل أبرزها كتاب "سيميائية الكلام الروائي" الصادر سنة 2006، لمحمد الداهي الذي ركز فيه الباحث على المؤلفات "السيميائية التي أفاضت في الأهواء مستنتجا من كل واحد منها الضوابط التي تحكمت فيه" (الداهي، 2006: 14)، وترجمة سعيد بن كراد لكتاب "سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس" سنة 2010م، والذي حرص فيه المترجم "على أداء المعنى الأصلي بأمانة وبلغة سلسة ومفهومة" (بوسعدة و بن غنيسة، 2023: 413)، ومن بين الذين تناولوا هذا الاتجاه أيضا الناقدة نعيمة سعدية، فقد أولت هي الأخرى في كتابها "التحليل السيميائي والخطاب" أهمية كبرى لسيمائية الأهواء وللحالة النفسية للذات، حيث قسمت دراستها إلى قسمين قسم نظري وقسم تطبيقي، عالجت في القسم النظري مفهوم هذا المصطلح وتشكلاته، وذلك باعتباره مشروع مستقل بذاته "يتوفر على ميكانيزمة مفاهيمية خاصة به ومنسجمة تقر أساسا باستقلالية البعد الانفعالي للخطاب، وبالتشييد النسقي للتدلال الاستهوائيla sèmiosis du phorioue وبانجاز

نحو يفضي إلى الخطاطة الاستهوائية المعيارية" (سعدية، 2016: 145)، فهو يدرس الأهواء الذاتية، ويحدد الدلالات الممكنة داخل النصوص والخطابات معتمدا في ذلك على دراسات سيميائية نصية علمية تستقرئ المكونات التركيبية والمكونات الدلالية، وذلك من خلال طبيعة انفعالية.

انطلقت الباحثة في دراستها من نقطة أن سيميائية الأهواء مشروع نقدي يهتم بدراسة العواطف والانفعالات النفسية ومدى تأثيرها على العمليات العقلية والمعرفية للإنسان، وهذا ما جعلها تصرح برفضها لهذا المصطلح الذي أطلقه الغرب على sémiotique des passions ذلك لأنه لا يتناسب معه، وأن الأقرب له حسب رأيها هو سيمياء الشعور، وذلك لقدرة هذا المصطلح "على احتواء معظم المكونات التي قصدها غريماس وفونتاني سواء أكانت تعود إلى العقل أم الإحساس أو الانفعال" (سعدية، 2016: 151)، كما أن سيميائية الشعور من منظورها مصطلح "يحتفي بالتلفظ، وبتداولية اللغة المعبر عنها، إنه مصطلح يستجيب للضغط الجمعي ولمتطلبات الحاضر" (سعدية، 2016: 161).

أما عند العرب فتصرح الناقدة أن مصطلح passions des sémiotique عرف فوضى مصطلحية كسيمياء الأهواء، سيمياء العاطفة، دلائلية الهوى، سيميولوجية الأهواء ...، وذلك بسبب قدرته على احتواء حالات هائلة من المشاعر والانفعالات واستناده على مجموعة من المفاهيم والرموز والعلامات والظواهر التي تستخدم في التعبير عن الأفكار والمعتقدات، وهو الأمر الذي أفقده مفهومه، حيث أصبح لكل ناقد نظرته الخاصة في التعامل معه كل على حسب فهمه وتصوره، فكل باحث "أصبح يشكل مدرسة نقدية قائمة بذاتها، معزولة كليا عما يجري حولها في المدارس الأخرى على الرغم من اعتمادهم جميعا على خلفية معرفية غربية واحدة" (سعدية، 2016: 149)، ونقصد هنا اختلاف التطبيق الإجرائي للمنهج وليس النتائج المتوصل إليها، وهذا ما جعل الباحثة تطالب بتوحيد منظوم اصطلاحية تتكافأ فيها الإجراءات بالنتائج، لينتهي هذا الانقسام على مستوى النقد العربي" (ينظر: بوسعدة و بن غنيسة، 2023: 415-416) خاصة وأن جميع هذه المصطلحات ترتبط بالحالات النفسية والجسدية وما يصدر عنها من انفعالات خفية توجد داخل الذات الإنسانية.

بعد أن انتهت الباحثة في دراستها من إشكالية المصطلح تطرقت إلى كل ما يتعلق بسيميائية الأهواء ومفاهيمها، فعالجت مفاهيم الهوى وبحثت عن مكوناته في مختلف العلوم والمعارف، وذلك لأن وجود هذا المصطلح مرهون برصيده الموجود في الحياة، فالأهواء كانت "باستمرار، محط اهتمام النقاد والأدباء والفلاسفة لكونها تمس جانبا معقدا في دواخل الإنسان وفي علاقته مع العالم والأشياء" (سعدية، 2016: 150).

حاولت الناقدة ضبط هذا المجال المعرفي (سيمياء الأهواء) وذلك من خلال تتبعها للفظة الهوى والوقوف على دلالاتها خاصة وأنها كانت على الدوام موضوع جدال بين النقاد والمفكرين، تدور حولها مفاهيم متضاربة ومتعارضة بغية وضعها في النسق المعرفي الصحيح الذي تعمل فيه وتدور في فلكه، وكذلك حتى لا تحدث اختلافات في مجال البحث الموظف فيه، وحتى تفسر الباحثة لنا هذه الفوضى انطلقت في دراستها على الوقوف على أربع مفاهيم هي (ينظر: سعدية، 2016: 156-158):

يطلق الهوى على البعد الانفعالي، كما أنه ليس الانفعال المرافق للأفعال، إنه طاقة خاضعة لمفصلة تتم وفق آليات بنيوية مخصوصة: أن يكون مسند إلى المتكلم لا إلى غيره، ومصوغا في زمن الحاضر، وأنه يقتضي بمجرد التلفظ فعلا أي انجازا.

يطلق عليه الانفعال وهو الأمر الذي نفاه كل من غريماس وفونتاني في قولهما: أن الهوى ليس الكلية الانفعالية إنه أحد أشكال وجودها.

يطلق على الإحساس الذي يدل على الوجود ومقولة الإحساس تشكل الحد الأدنى الابستيمولوجي الذي يتم عليه بناء الموضوع السيميائي الذي يتلخص في دراسة الآثار الخطابية لعملية الإحساس.

يطلق على الشعور وذلك باعتباره عدة جهية محددة للهوى بصفته أثرا معنويا.

لقد شيدت الناقدة تصورا للهوى مبني على معمارية تقوم على التحقيق في ماهيته، فتوصلت إلى تعدد دلالاته وذلك بحسب فهم كل دارس ومجال تخصصه، وهذا ما جعلها تعتقد بأن الأقرب لمصطلح سيمياء الأهواء هو أن يتعامل كل باحث معه "كعائد إيحالي على الوجدان والطاقة الشعورية التي يمتلكها، وكذلك على البنية الذهنية والتركيبية النفسية وغيرها" (سعدية، 2016: 145)، ذلك لأن الاهتمام بالجانب الشعوري النفسي يعد من أهم الأشياء التي تعنى بها سيمياء الأهواء، فهي تولي عناية لما ينتاب هذه الذات من عواطف ومشاعر متآلفة ايجابية أو متنافرة سلبية" (ينظر: حامد، 2022: 81).

2-3 التمظهرات الهووية في الخطاب القصصي الأنثوي من منظور الناقدة نعيمة سعدية:

لم تتوقف الناقدة نعيمة سعدية على ملامسة المفاهيم النظرية لسيمياء الأهواء فحسب، وإنما انتقلت إلى الإطار التطبيقي، وفي هذا الخصوص أثرت الولوج إلى الهوى من خلال الاهتمام بأبعاده وتبيان أشكاله والوقوف على مساراته في الخطاب القصصي الأنثوي، وقد وضحت ذلك من خلال دراستها للمجموعة القصصية "شهرزاد تبوح بشجونها"، وذلك باعتبارها مجموعة من النصوص تستند على العديد من العواطف والمشاعر المتنوعة التي تتمظهر فيها صورة الهوى الذاتي.

إنّ استقراء الناقدة لهذه الخطابات القصصية التي أنشأتها المرأة في هذه المجموعة سمحت لها بمقاربة النوازع الجسدية والميول الانفعالية التي تتصل بعالم الأنوثة مقاربة سيميائية، حيث استطاعت من خلال شخصية شهرزاد أن ترصد التشكلات الهووية وتكشف عن الآثار المعنوية الدالة عليها، وذلك بعدما اتخذت شهرزاد "في كل نبرة من نبرات قصتها دور البوح والكشف الصريح لخفايا وخبايا أمور رأتها هي وحدها بحسها الأنثوي، واستشرافها الطفولي، وصوتها الصارخ الفاضح، لإفشاء أسرار وقضايا مجتمعها؛ ... جاءت أكثر اهتماما بالقلق النفسي والتوتر العائلي، وبالتجريب المتواصل للأشكال والاستبطان العميق للذات والتقطيع الواضح للأحداث" (سعدية، 2016: 170).

لقد شكلت المرأة في هذه النماذج مدار الخطاب القصصي الهووي، فهي تحدد منظورا خاصا في الكتابة يكشف عن جوانب المسالة النسائية وخلفياتها وأبعادها ويعرض قضاياها ويعكس صورا من أوضاعها، ولعل هذا ما دفع بالباحثة إلى التدليل بالبعد الانفعالي لديها داخل النظرية السيميائية وإبراز علاماته ومعالجته عبر عدة مبادئ ومستويات عامة، فهي تهتم بمستوى العواطف والأهواء من خلال الكشف عن التوترات التي تربطها بالمرأة، كما تنتبه أيضا إلى العلاقة المحسوسة والانفعالية التي تقيمها شهرزاد مع نفسها ومع العالم الموضوعي، فهي في كل قصة تنطلق من إرغاماتها ومن ثوابتها الموضوعية، وهذا يعني أن الأمر لا يقتصر على مجرد البوح الأنثوي فحسب؛ بل هناك أثر انفعالي لا يمكن له أن يتجسد إلا في إطار العلاقة مع العالم الخارجي، فهو إذن يرتبط "بالحضور الفاعل في صناعة الوجود عبر الكتابة، وتكييف قوانينه وقراءة أحداثه بعيون أنثوية؛ فهي رؤية نقدية للواقع والحياة والنقد صورة لمعاني الحرية وتقييم الحضارة التي تتجلى في مختلف أشكال التعبير والسلوكيات الاجتماعية" (سعدية، 2016: 171-172).

انطلقت نعيمة سعدية من خلال قراءتها لهذه نماذج على استقراء العلامات الإشارية الدالة على الأهواء وفق مقتضيات وآليات الاتجاه السيميائي، وذلك من خلال تناولها للملفوظات المضمرة والخفية الدالة على الهوى وبحثها "عن الآثار العميقة الدالة على هذه الأهواء بداية من رصد العلاقة الكفائية التي تربط الذات بالموضوع" (حامد، 2022: 84)، فهي تركز على مجموعة من الملامح الهووية والأبعاد العاطفية التي تموضعت في مسار السرد وحققت ماهية التعبير والدلالة الأدبية، والتي تجسدت بوجود قدرة على الفعل تشي الرغبة بالعاطفة وتنبئ عنها التوترات التي ترتبط بالمدرك، وذلك لأن المرسل "يطلب من الذات تحقيق موضوع لفائدة مرسل إليه في سيميائية هووية، تنبع من الأول لتصل إلى الثاني، يجانبهما دال مساند ومعارض" (سعدية، 2016: 172) يعيقها للوصول إلى موضوعها.

بناء هذه على الفرضية درست الباحثة الخطاطة السردية الاستهوائية في هذه المجموعة وفق مسارات هووية متعددة، فهي تركز في مقاربتها على بيان الصنافات التي تتضمن أجزاء كبرى للحياة العاطفية من خلال استحضار منطق الجهات (الرغبة، المعرفة، القلق، الحب ...)، كما أنها تحرك إشكالية الاستثمار الدلالي وفق ما يعتمد عليه من فاعلية الحركة التركيبية، ويعني هذا أنها تدرس الأهواء النفسية والانفعالات والمشاعر حسب السياق الثقافي العام الذي يتحكم بالهوى، وذلك من خلال هيكلة تركيبية متوقعة تتكون من مجموعة من الأهواء.

1-2-3 سيميائية هوى الرغبة:

يُعد هوى الرغبة من أبرز الأهواء التي عالجتها نعيمة سعدية في مدونتها وذلك بحكم تواتره في أغلب نصوص المجموعة القصصية، فهي تُبنى من منظورها عبر سردية مقنعة تتمثل في رغبات متنوعة تنسجم مع الحالة النفسية للمرأة المهزوزة الباحثة عن ذاتها وكينونتها والساعية إلى تحرير ذاتها في واقع أليم ومتأزم، ففي قصة (وحدي في الزحام) شهرزاد تبوح بمشاعر إنسانية معقدة ومحددة تتصل بموضوعات: الصراع واثبات الذات، وترتبط بأحداث تسعى إلى تغيير عقلية المجتمع وذلك من خلال تجربة حميمة لامرأة فشلت في زواجها، فتلجأ إلى الكشف عما يضج به جسدها من رغبات حتى تحرر ذاتها "من قيود فرضتها العائلة والزمن، سابحة ضد التيار، عندما تقرر العمل؛ فهو قوة وثبات واثبات؛ وفي المقابل تقع في صراع حاد يفرض عليها الطرف المعارض، والمتمثل في التيار الإيديولوجي" (سعدية، 2016: 173)، فالرغبة هنا حالة مفترضة وموجودة فهي تعبر عن ماهية المرأة التي تسعى إلى تحرير ذاتها وإزالة التصورات التقليدية السابقة عنها.

لقد ارتبط مفهوم الرغبة عند الناقدة بالقدرة على الفعل واقترن بالنزعة الحيوية للمرأة وإرادة إثبات الحياة والطموح، فهي من منظورها تتوق إلى المتعة والتخلص من قيود المجتمع ومن كل أشكال القهر التي تمارس عليها والتي تحول وجودها إلى معاناة متواصلة، وهو ما يفرض عليها تقصي طبيعتها وأصلها حتى تحقق الكيان وتكامل الوجود.

وتقف الباحثة أيضا على قصة (قضية خاسرة) لألفة أدلبي، فهي الأخرى تبوح بقضايا الصراع واثبات الذات، ويتعلق ذلك بامرأة غسالة عجوز تعيش مع ابنها بؤسا شديدا تكون ضحية الجهل والتخلف الفكري وضيق أفق المعرفة، فهي تدفع بشهرزاد إلى البوح عما "تحياه يوميا الطبقة العاملة في المجتمع، كما تبوح في نهاية هذه القصة بقضية قلة الضمير لدى الطبيب، والتي أصبحت ظاهرة متفشية في زمن الحضارة؛ فهم من حرموا الأم من ولدها ذي ستة أبناء وسرقوا ماله" (سعدية، 2016: 173)، فشهرزاد هنا تصور أوجاع الذات إلى حد المأساة، وترصد فواجعها حتى تعبر من خلالها عن رغبتها بعالم أخلاقي، وهذا يعني أن الرغبة بالنسبة للناقدة هي انكشاف شعوري يكشف عن الحالة النفسية وعما ينتابها داخليا من أهواء، وأن محورها "يجمع بين الفاعل والموضوع بواسطة علاقة ترابطية إذ لا يمكن أن يوجد فاعل بدون موضوع والعكس صحيح" (حماني و بعيو، 2020: 108).

لم تقف الباحثة على دراسة الرغبة في هذين النصين فحسب وإنما تعاملت مع نصوص متنوعة، ومن بين تلك النصوص (مفاتيح) للقاصة نفسها التي تبوح فيها عن ممارسات الصهاينة القمعية وما تسببوا فيه من بؤس لأهالي فلسطين وقسوة في المعاملة، وذلك من خلال تصويرها حالة أم فلسطينية نازحة سيطر "عليها هوى الاعتقاد بالحق، والتي ستسعى جاهدة إلى توريثه لأحفادها، والمتمثل في واجب استرداد الوطن المقدس" (سعدية، 2016: 174)، وأيضا قصة (عند الزاوية) لسحر توفيق، والتي قدمت الناقدة من خلالها حدا آخر من الرغبة ينفصل عن الأول من حيث الاشتغال، حيث تتطلع فيه شهرزاد إلى بلوغ القيم الإنسانية المسماة الخبرة "أين يتسامر عجوزان حول مصر وقضايا الأمة وفلسفة الحياة ... إذ ترغب الذات- هنا- في تذكير جيل بأمور نسوها، ولا يكاد يذكرون منها شيئا، فالذاكرة هي خلاص تبحث القاصة عنه، وترغب في تجسيده" (سعدية، 2016: 174-175).

إن وقوف الناقدة على هذه القصص الغاية منها هو تلمس هوى الرغبة ودلالاتها فيها، وذلك انطلاقا من أن الرغبات تنبع من الذات المبدعة ولها أثر واضح وملموس في هاته المجموعة، فهي لا تهتم بتأثير الرغبات من الناحية النفسية في المتلقي، بل باعتبارها منتجة للمعاني الدالة على الذات المبدعة والراغبة في التحرر وبلوغ المعرفة، وقد كشفت الناقدة عن ذلك من خلال النظر إلى العلاقة الانفعالية التي تقيمها القاصة مع نفسها والعالم الخارجي، فشهرزاد حسب رأيها تهرب إلى الكتابة باعتباره فضاء تضج فيه مشاعرها وما تحلم به من تطلعات خاصة بها.

لقد حاولت نعيمة سعدية من خلال هذه المقاربات دراسة سيميائية الرغبة في هذه المجموعة، وذلك بالوقوف على أهم التطلعات التي تستخدمها المرأة في كتابتها وهذا ما جعلها تصرح أن شهزراد تعيش رغبات متعددة تتنوع حسب الموضوعات التي ترغب فيها، فهناك الرغبة في التحرر، الرغبة في المجد، الرغبة في المعرفة، وهي كلها رغبات عبرت عنها شهرزاد بسمات خاصة تحمل طابع الأنوثة لأنها تشكل مدار كيانها الذاتي في مختلف تجلياته.

3-2-2 سيميائية هوى القلق وأهواء الترقب:

تسعى نعيمة إلى توسيع دائرة اشتغال سيميائيات الأهواء عبر معالجتها في مدونتها لمجموعة من العواطف والأحاسيس المرتبطة بأحوال المرأة ووجدانها وانفعالاتها، فهي تركز على تتبع البعد العاطفي وتلمس دلالاته في هذه المجموعة، وذلك انطلاقا من بعض الحالات التي تعيشها الذات المبدعة كالقلق والترقب، وهو ما يتجسد في قصة (القناص) لنُهى إيراني من لبنان، فالبطل يعيش حالة ترقب ويكون معها "متصلا بآلة منظار، كعلامة سيميائية للترقب العربي، الذي يدور في كل الاتجاهات، وكل الأحياء والشوارع التي تخلوا من مظاهر الثورة والحركة" (سعدية، 2016: 176)، وكذلك قصة (الانفجار) لفاطمة حسين من الكويت حيث تجعل شهرزاد الوطن العربي "الصندوق الأسود المليء بالمآسي وحالات اليأس والضياع، والمواطن فيه غير قادر على فعل التغيير، تسيطر عليه أهواء الترقب والقلق المصيري" (سعدية، 2016: 177).

لقد صرحت الناقدة أن هذا الوعي العاطفي يعمل على إيقاظ هوى معين يأتي نتيجة الإحساس بشعور القلق والاضطراب وعدم الارتياح والتردد، فهو الذي يدفع الذات الاستهزائية إلى الانفعال والتوتر من خلال الخوف من مواجهة المصير، وهو ما يجعلها تعيش حالات نفسية ووجدانية تعجز عن فهمها والتأقلم معها.

ويأتي هذا الانكشاف الشعوري أيضا في قصة (تيم) للكاتبة سحاب محمد نوري الصمصام من سوريا حيث تحس الذات بشعور متداخل بين القلق والحيرة نتيجة "تفشي الفساد والمحسوبية وعامل الوساطة حتى في عالم الحيوان حيث

تصور القاصة بطلها الذي يقدم للمحاكمة على سرقة دواء من طبيب بيطري يرفض إعطاءه إياه ليتركه إلى علية القوم" (سعدية، 2016: 177)، وقصة (كوريتياج) لليلى العثمان من الكويت، أين تصور شهرزاد حالة طبيب ظهرت عليه ملامح القلق والترقب بعدما "أشفق على زوج وزوجته على الأجرة العالية التي طلبت منهما، وأجرى لها عملية في المحظور، عوقب على إثرها، وفصل من عمله رغم سلامة الزوجة وعدم أخذه الأجرة؟" (سعدية، 2016: 177). وهو هنا الشعور بالخيبة والألم والقلق عن المصير الذي سيؤول إليه نتيجة مساعدة للآخرين، وكذلك قصة (كابوس) لمنى فرد من الجزائر وقصة (ستفعلون) للقاصة هدى النعيمي من قطر، فهي كلها كتابات تراها الناقدة بأنها تعكس زوايا متعددة لهوى القلق والترقب زوايا ليست تلفظية وحسب، وإنما سيميائية تأشيرية تتمفصل كلها في جملة من الأحاسيس التي تكشف عن النسق التوتري للذات.

لقد توصلت الناقدة من خلال دراسة هذه النصوص إلى أن هوى العاطفة هوى ذاتي يظهر من خلال ردود الفعل الجسمانية والنشاط الانفعالي، وأنه يتنوع بتنوع الضغوط التي تصب في إطار المعانات التي تعيشها شهرزاد وفي ظلّ التغييرات المجتمعية التي تؤثر في وجدانها وطموحاتها، وهذا يعني أن العاطفة بالنسبة إليها علامة دالة تتضح من خلال رصد علاقة الذات بالموضوع فتظهر على شكل التوترات الحسية المعروفة بالقلق والترقب، فهي "تتوافر في الخطاب باعتبار حدين، يتمثل الأول في تحديدات صيغية مجسدة في العوامل والكفاءات، والثاني تحديدات توترية تمثل التوترات المختلفة التي تخضع لها الذات في مواجهتها للحدث" (بن كروش، 2021: 38).

3-2-3 سيميائية الحب:

بعد أن فرغت الباحثة نعيمة سعدية من دراسة هوى الرغبة وهوى العاطفة أولت اهتمامها بهوى الحب وما يتفرع عنه من انفعالات خاصة، وقد طرحت ذلك من خلال تحليلها لبعض النصوص القصصية، فقد وقفت على مجموعة من الإشكاليات التي تفسر تمظهراته التي تمثله وتجسده، وذلك باعتباره شعور إنساني يتأثر بنوازع النفس ويغطي على جوانب العقل، فهو يهيمن على كتاباتها من خلال ما تكنه من مشاعر، كما يصور أوجاعها إلى حد المأساة، وهي السمات التي تعبر عنها سلمى شلاش من خلال قصتها (وتلطخ وجه الحب) عن معاناة الذات وانكساراتها بعد أن تجرأت "على خطبة حبيبها لها بلا خجل ولا موارية ليرفض الطرف الآخر مصرحا أنا لم أعدك بشيء، فيحدث انفصال الذات عن موضوعها" (سعدية، 2016: 178). وكذلك قصة (في حالة حب) للقاصة ليلى العثمان التي تستحضر قصة شاب يدعي الجنون حتى يتمكن من رؤية فتاته التي يحبها، "فتحاكي الكاتبة هذا الشعور بمهارة، خاصة عندما يبوح صويلح إلى الفتاة بسره وهو ادعاؤه الجنون، فيفاجئ بصدها وتهديداتها وأمنياتها لو أنه كان مجنونا أكرم له من هذا العار. والكاتبة جراء هذا التصرف للذات ... تنتصر إلى روح التقاليد، خاصة انتحار الشاب في الأخير، جراء صد محبوبته له خوفا وخجلا" (سعدية، 2016: 179).

ففي كلتا القصتين ينبثق رد فعل يضيق كيان الذات نتيجة وجود علاقة متنافرة بينها وبين من تحب، فعلامة الكآبة وعلامة الموت في كليهما ما هي إلا علامات سيميائية تنبثق من الأزمات التي مرت بها الذات، فبدلا من أن تعيش حياتها في عالم مليء بالأحداث والمفاجآت الجميلة إذا بها تتعرض إلى مواقف تعصف بها الخيانة أو تتملكها الرغبة في الاحتقار والإهانة والتقليل من القدر والنيل من الكرامة.

لقد حاولت الناقدة من خلال هذه المقاربات تلمس هوى الحب وتتبع شحناته المعنوية والعلامات التي تتحكم به وتنتج عنه، فهو حسب رأيها يفضي أحيانا إما إلى الإخفاق والفشل، أو الخيبة وعدم تحقق ما كان يُرجى، كما في قصة (سقط سهوا) لفاطمة يوسف العلي من الكويت؛ التي تحكي فيها شهرزاد عن قصة طبيبة تتعرض للمضايقات من أهلها عندما تقرر أن تتزوج زواجا غير تقليدي، إلا أنه ينتهي بالفشل نتيجة غيرة زوجها من نجاحها في مهنتها فتقف "هي عاجزة تود الحفاظ على أسرة لا توجد في الأساس، لعله الخوف من لوم الأهل لها، ونظرة المجتمع لما يقدم زوجها على طلاقها" (سعدية، 2016: 181)، وهذا ما جعلها مرتبكة ومتوترة تعيش انفصالا نتيجة الإخفاق وتحقق المأمول.

من خلال هذه التحديدات تقر الناقدة بأن شهرزاد لا تقف في كتاباتها على رسم ملامح الحب فحسب بل تؤشر إلى ما يفضي إليه الحب من ألم ووجع وما يحيل إليه من إحساس بالقهر، كما في حكاية (لو أن كريمة) التي تعبر فيها أمينة زيدان عن "وجع كريمة التي تحرق حية على يد عمها وأبيها، وتتهم بأنها هي من أحرقت نفسها، بسبب ركوبها السيارة مع تشارل الانجليزي عندما احتاجت إلى ذلك، تاركة وراءها سراب "عبد الناصر" الذي يحبها وتحبه" (سعدية، 2016: 182)، فالحرق هو علامة على المعاناة التي عاشتها البطلة، وهو يؤشر أيضا إلى حالة التوتر والهاجس المأساوي لديها إزاء وضعية القهر التي فرضت عليها، إذ لم يكتف أهلها بتعذيبها وإنما وصل بهم الأمر إلى تقييد أحلامها وتطلعاتها.

ويرتبط هوى الحب أيضا من منظور الناقدة أيضا بصراع النفس من أجل الاستمرار، وذلك من خلال تمظهراته المتعاكسة التي تتجاذبها ثنائية الفشل أو البقاء، ويتجسد ذلك في قصة (قد ...كان) لليلى محمد صالح من الكويت، وذلك

من خلال الصراع الذي يعيشه بطل القصة الذي يحاول أن يتخلص من ماضيه المؤلم بعد وفاة طفليه وانفصاله عن زوجته الأولى المغتربة، حيث "يقرر الزواج ثانية من ابنة وطنه للاستمرار، ولكن تبقى الذكريات تنهش فكره وروحه فكره، ففي ضوء هذه القصة تصور الكاتبة القصة وقد أحست بالفرق بين الذي كان، والذي ينبغي أن يكون من أجل البقاء والاستمرار" (سعدية، 2016: 182).

لقد حاولت نعيمة سعدية من خلال هذه المقاربة أن تكشف عن مساهمة هذا السلوك الهووي في إنتاج هذا الخطاب، وحتى تفسر ذلك وقفت على النموذج العاملي الذي تنبني عليه القصة، فهو يتحدد حسب تحليلها من خلال أربعة عوامل باعتبارها كينونات تركيبية:

الذات: وهو البطل الذي يسعى إلى تحقيق الاستمرار.

الموضوع: هو الشيء الذي يسعى البطل إليه وهو الاستمرار من أجل البقاء.

المساعد: هو العامل الذي يساعد البطل على تحقيق الاستمرار وهو الزوجة من ابنة وطنه.

المعارض: تمثله الذكريات التي تعيق طريق البطل وتصده عن الوصول إلى هدفه، فقد ظلت تطارد فكر البطل جراء ما عاشه في داخله.

4-2-3 سيميائية هوى المعرفة:

يُعد الاستلاب من المظاهر الأكثر استعمالا وتداولا في الخطاب الأدبي العربي وذلك باعتباره صورة تمارس على الذات الإنسانية، فهو يحيلها إما "إلى حال التسليم المرضي، والرضا بالعيش في هامش الحياة" (القيسي، 2015: 69) أو يجعلها تعيش صراعا ذاتيا يفرض عليها "التخلص من هذا الحال" (القيسي، 2015: 71)، فوجودها إذن مرتبط بأحد الطريقين: إما القناعة بالهزيمة والفشل أمام ما يمارس عليها أو الانفلات والتمرد ويكون ذلك بالبحث عن سبل مختلفة للخلاص.

أشارت نعيمة سعدية في البداية أن ظاهرة الإحساس بالاستلاب تشكلت في المجموعة القصصية لشهرزاد بصور مختلفة يعكسها إما الشعور بالإحباط أو الانهيار الوجداني، كما وضحت هذه الأشكال من خلال العلاقات الإنسانية التي تربط بين البشر، ففي رواية (أحلام في بلاد بعيدة) تتشكل صيرورة الذات وانعكاسات استلابها من خلال قوى داخلية تتمثل في الصراع الذاتي الذي تعيشه الفتاة العربية، حيث تحاول إقناع نفسها بالزواج من رجل يعمل في بلاد أجنبية "وتوهم نفسها بحبه لكنها تقع في الحقيقة في حب رغبة تحقيق أحلامها" (سعدية، 2016: 183).

لقد حاولت نعيمة من خلال هذه القصة الوقوف على أثار المعنى التي تتمظهر في صورة هوى المعرفة، حيث قامت بدراسة الذات الاستهوائية من خلال استحضار مظاهر الاستلاب التي تجعل من هوى المعرفة أداة إجرائية وموضوعا تتشكل من خلاله الدلالة على التحرر نتيجة الظروف التي تعيشها الذات في واقعها المعاش أو الفعلي.

وتتعمق الباحثة نعيمة في هذا المفهوم الاستهوائي أيضا من خلال (قصة تاج من شوك) لاعتدال رافع من سوريا حيث تقع المرأة تحت الاستلاب الاجتماعي الذي يجعلها تعيش الشعور بالفشل والإحباط والانتكاس، وذلك بسبب تهميش شخصيتها والاهتمام فقط بشعرها الطويل، وهو الأمر الذي دفع بها إلى قصه "والشعر هنا علامة سيميائية على تشيؤ المرأة، وفعل القص هو في الحقيقة فعل للتحرر من القيود ورفض حالة الاستلاب الممارسة عليها في مجتمعها، وللتحرر من نظرة لازمت المرأة طويلا" (سعدية، 2016: 184).

هكذا توصلت الناقدة من خلال تحليلها لهذه النصوص أن هوى الانفعال يستتبعه هوى المعرفة وأنه يستوجب صراعا انفعاليا بين الذات (المرأة) والموضوع (الاستلاب)، وأنه يحكم هذا الصراع فاعل (المرأة) والتي يحق لها أن تختار ما تفعله فحريتها "شرط قوتها، ولكن عليها استعمال الفعل والقانون" (سعدية، 2016: 184).

ما يمكن استخلاصه من هذه الدراسة التطبيقية هو أن الناقدة نعيمة سعدية قدمت مقاربة سيميائية في إطار ما يسمى تجربة الشعور الاستهوائي الأنثوي، وخصصت لها دراسات متفرقة تتلخص كلها في وجود ثلاث علاقات قائمة على الانفصال والاتصال بين الذات وعالم الموضوعات والأشياء، وهي: علاقة الرغبة وتتمثل في إظهار مجموعة من المشاعر اتجاه الموضوع المرغوب فيه، وعلاقة التواصل التي تحقق الموضوع والتي تتم بين المرسل والمستقبل، وعلاقة الصراع التي يمثلها عاملان عامل مساعد وعامل معارض يعرقل الذات من أجل تحقيق الاتصال بالموضوع. فالذات وجود متجسد تربطها علاقات بشكل أو بآخر مع محيطها الخارجي الذي تعيش فيه، وذلك لكون "المرسل يطلب من الذات تحقيق موضوع لفائدة مرسل إليه ...، تنبع من الأول لتصل إلى الثاني، بجانبهما دائما معارض مساند ومعارض" (سعدية، 2016: 172).

4- الخاتمة:

نخلص من هذا البحث جملة من النتائج وهي أن الناقدة في دراستها:
اتسمت بالتميز وذلك لقدرتها على الجمع بين التنظير المتين والتطبيق العملي العميق لسيميائية الأهواء في الخطاب القصصي الأنثوي.
نحت في دراستها منحى مفاهيميا تجسد في استثمار مجموعة من المفاهيم الهووية، وذلك لأجل تقديم فهم أفضل لمصطلح سيميائية الأهواء، فالناقدة تقدم شروحات دقيقة له وتربطه أكثر بمفهوم الشعور باعتباره المصطلح الأنسب على احتواء مكوناته.
كانت لها قدرة على تطبيق سيميائية الأهواء على مجموعة من النصوص القصصية الأنثوية متبنية بذلك المنهج السيميائي بشكل متناسب مع كل نص على حدة، فكانت تبرز أبعاد الهوى بطريقة تلائم النصوص القصصية الأنثوية.
قامت باستقراء شكل المضمون سيميائيا، فاهتمت بحالة الذات الأنثوية ورصدت أهوائها المشحونة في المجموعة القصصية، ولكن من غير الخروج عن القوانين التي حددها الغرب في دراسة هوى الذات داخل الخطابات النصية.
اعتنت بالآثار الهووية التي تتحقق في الخطاب مركزة في دراستها على العلاقة بين الذات الأنثوية والسياقات الاجتماعية والسياسية، فالأثر الانفعالي لا يمكن له أن يتجسد من منظورها إلا في إطار العلاقة مع العالم الخارجي.

وفق هذه التحديدات يمكننا القول أن دراسة نعيمة سعدية قد تكون مجالا خصبا لأبحاث قادمة تهتم بدراسة ثيمة الهوى بعُدة سيميائية خصوصا وأن الدراسات الاستهوائية النقدية العربية في هذا المجال قليلة جدا، فالعالم العربي بحاجة إلى الالتفات إلى خطاب الأهواء وتتبع خصوصية استخدامه وكيفيات بناء عوالمه.

المراجع

1. أمينة حماني، نورة بعيو، (15 09, 2020)، الجسد الأنثوي بين الطرح الروائي والتأويل السيميائي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، 9 (3)، الجزائر: المركز الجامعي لتامنراست، ص ص99-117.
2. بغداد عبد الرحمن، (27 06, 2019)، السيميائيات من العمل إلى الهوى، قراءة في كتاب سيميائية الأهواء لغريماس وفونتاني، 8، جامعة، تلمسان: أبي بكر بلقايد، ص ص27-42.
3. جميل حمداوي، (2011). مستجدات النقد الروائي (ط1)، شبكة الألوكة.
4. حياة بوسعدة، نصر الدين بن غنيسة، (2023)، سيميائية الأهواء، من منظور النقاد العرب، محمد الداهي أنموذجا، مجلة قراءات ، 15 (1)، بسكرة: جامعة محمد خيدر، ص ص 406-427.
5. زينب عبد الأمير حسين القيسي، (2015)، الشخصية المستلبة وأثرها في البناء السردي لرواية وليمة لأعشاب البحر- نشيد الموت. مجلة مداد الآداب، (11)، العراق: الجامعة العراقية، ص ص 67-114.
6. سعيد فرغلي حامد، (04, 2022)، سيميائية الأهواء في قصة الأجنحة المنكسرة لجبران خليل جبران، المجلة العلمية لكلية الآداب، 27 (82)، مصر: جامعة أسيوط، ص ص 69-138.
7. غريماس الجرداس، جاك فونتنيي. (2010)، سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس (ط1)، بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
8. فايزة بن كروش، (20 06, 2021)، سلطة الأهواء في الخطاب العربي المعاصر، قضايا الأدب ، 6 (1)، الجزائر: جامعة البويرة، ص ص 26-41.
9. محمد الداهي، (2006)، سيميائية الكلام الروائي، (ط1)، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس.
10. نعيمة سعدية، (2016)، التحليل لسيميائي والخطاب (ط1)، الأردن: عام الكتب الحديث للنشر والتوزيع.